الفصل الثاني

في كيفية تدريجه إلى أن وقع له الفتح ﷺ

وذكر العارفين الذين ورثهم في الشهادة والغيب

سمعته ﷺ **يقول**: منذ لبست الأمانة التي أوصى لي بها سيدي العربي الفشتالي، وفهمت ما قال لي ألقى الله في قلبي التشوف إلى العبودية الخالصة، فجعلت أبحث عنها غاية البحث، فما سمعت بأحد يشيخه الناس، ويشيرون إليه بالولاية إلا ذهبت إليه وشيخته، فإذا شيخته ودمت على أوراده مدة يضيق صدري، ولا أرى زيادة فأتركه ثم أذهب إلى غيره فأشيخه، فيقع لي [معه مثل ما وقع من الأول][1]، فأتركه ثم أذهب إلى غيرهما، فوقع لي مثل ذلك، فبقيت متحيرًا في أمري من سنة تسع إلى سنة إحدى وعشرين.

وكنت أبيت كل ليلة جمعة في [ضريح][2] الولي الصالح سيدي علي بن حرزهم، وكنت أقرأ البردة مع من يبيت به حتى نختمها كل ليلة جمعة، فلما كان ذات ليلة طلعت ليلة الجمعة كالعادة، فقرأنا البردة وختمناها، ثم خرجت من الروضة فوجدت رجلاً جالسًا تحت السدرة المحررة التي بقرب باب الروضة، فجعل يكلمني ويكاشفني بأمور في باطني، فعلمت أنه من الأولياء العارفين بالله ﷻ، فقلت: يا سيدي، أعطني الورد ولقني الذكر، فجعل يتغافل عني، [ويتكلم معي][3] في أمور أخر، فجعلت ألح عليه في الطلب وهو يمتنع، ومقصوده أن يستخرج مني العزم الصحيح حتى لا أترك ما أسمع منه، فلم أزل معه كذلك إلى أن طلع الفجر، وظهر الغبار في الصومعة.

فقال: لا أعطيك الورد حتى تعطيني عهد الله أنك لا تتركه، فأعطيته عهد الله وميثاقه أني لا أتركه، قال: وكنت أظن أنه يعطيني مثل أوراد من شيخت قبله، فإذا به يقول لي: اذكر كل يوم سبعة آلاف: اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله في الدنيا [قبل][4] الآخرة، قال: ثم قمنا فخلط علينا سيدي

---

(١) في (ب) لي مثل ذلك الذي وقع لي أولاً.

(٢) في (ب) مقام.

(٣) الزيادة من (ب).

(٤) في (ب) و.

عمر بن محمد الهواري قيم الروضة فقال له ذلك الرجل: [تهلا في هذا][1]، ثم أنشأ في هذا: أوصيك به خيرًا، فقال سيدي عمر: هو سيدي يا سيدي، قال: فقال لي سيدي عمر عند خروج روحه وانتقاله إلى الآخرة: أتدري من الرجل الذي لقنك الذكر عند السدرة المحررة؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال: هو سيدنا الخضر عليه السلام.

قال شيخنا رضي الله عنه: فلما فتح الله عليّ علمت ما قال لي سيدي عمر، قال: فبقيت على ذلك الذكر، فثقل علي في اليوم الأول، فما كملته حتى جاء الليل، ثم جعل يخف عليّ شيئًا فشيئًا، وذاتي تصطحب معه حتى كنت أكمله عند الزوال، ثم جعل يخف عليّ حتى كنت أكمله عند الضحى، ثم زاد في الخفة [حتى][2] صرت أكمله عند طلوع الشمس، وبقيت مع سيدي عمر أحبه ويحبني في الله إلى أن كانت سنة خمس وعشرين، فجاءته الوفاة وكنت جالسًا [معه][3]، فقال: أتدري من شيخي؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال: هو سيدي العربي الفشتالي، ولم يذكر لي أن شيخه سيدي العربي الفشتالي إلا وقت خروجه من الدنيا.

قال شيخنا رضي الله عنه: واحتويت والحمد لله على جميع ما عند سيدي العربي الفشتالي من الأسرار والخيرات بواسطة سيدي عمر، عاينت ذلك بعد الفتح، ولم يكن سيدي عمر [حاملاً][4] لأسرار سيدي العربي بأسرها، إنما كان عنده بعضها، وتفضل الله تبارك وتعالى عليّ بجميعها، وزادني عليها ما لا أقدر على شكره.

وكان سيدي العربي من العارفين بالله ﷻ، وممن يحضر ديوان الصالحين في حياته فقلت: وبعد مماته؟ فقال: لا.

وسمعته يذكر مثل هذا عن سيدي منصور، وكان من الأقطاب، فقال: إنه كان من أهل الديوان في حال حياته، وأمّا بعد موته فإنه لا يحضره، وذكر لذلك سببًا سيأتي إن شاء الله تعالى في أثناء الكتاب.

قال شيخنا رضي الله عنه: وبعد وفاة سيدي عمر بثلاثة أيام وقع لي - والحمد لله ـ الفتح

---

(١) الزيادة من (ب).
(٢) في (ب) إلى أن.
(٣) في (ب) عنده.
(٤) في (ب) جامعًا.

وعرفنا الله بحقيقة نفوسنا، فله الحمد وله الشكر، وذلك يوم الخميس الثامن من رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف، فخرجت من دارنا، فرزقني الله تعالى على يد بعض المتصدقين من عباده أربع موزونات، فاشتريت الحوت وقدمت به إلى دارنا.

فقالت لي المرأة: اذهب إلى سيدي علي بن حرزهم، واقدم لنا بالزيت لنقلي به هذا الحوت فذهبت، فلما بلغت إلى باب الفتوح دخلتني قشعريرة، ثم رعدة كثيرة، ثم جعل لحمي يتنمل كثيرًا، فجعلت أمشي وأنا على ذلك، والحال يتزايد إلى أن بلغت إلى قبر سيدي يحيى بن علال ـ نفعنا الله به ـ وهو في طريق سيدي علي بن حرزهم، فاشتد الحال وجعل صدري يضطرب اضطرابًا عظيمًا حتى كانت ترقوتي تضرب لحيتي، فقلت: هذا هو الموت من غير شك، ثم خرج شيء من ذاتي كأنه بخار الكسكاس، ثم جعلت ذاتي تتطاول حتى صارت أطول من كل طويل، ثم جعلت الأشياء تنكشف لي وتظهر كأنها بين يدي، فرأيت جميع القرى والمدن والمداشر.

ورأيت كل ما في هذا البر، ورأيت النصرانية ترضع ولدها وهو في حجرها، ورأيت جميع البحور، ورأيت الأرضين السبع، وكل ما فيهن من دواب ومخلوقات، ورأيت السماء وكأني فوقها وأنا أنظر ما فيها، وإذا بنور عظيم كالبرق الخاطف الذي يجيء من كل جهة، فجاء ذلك النور من فوقي ومن تحتي، وعن يميني وعن شمالي، ومن أمامي وخلفي، وأصابني منه برد عظيم حتى ظننت أني مت، فبادرت ورقدت على وجهي؛ لئلا أنظر إلى ذلك النور، فلما رقدت رأيت ذاتي كلها عيونًا، العين تبصر، والرأس تبصر، والرجل تبصر، وجميع أعضائي تبصر، ونظرت إلى الثياب التي عليّ فوجدتها لا تحجب ذلك النظر الذي سرى في الذات، فعلمت أن الرقاد على وجهي والقيام على حد سواء، ثم استمر الأمر علي ساعة وانقطع، وصرت بمثابة الحالة الأولى التي كنت عليها أولاً، فرجعت إلى المدينة ولم أقدر على الوصول إلى سيدي علي بن حرزهم، وخفت على نفسي، واشتغلت بالبكاء، ثم عاودني ذلك الحال ساعة ثم انقطع، فجعل يأتيني ساعة وينقطع ساعة أخرى إلى أن اصطحب مع ذاتي، فصار يغيب ساعة في النهار وساعة في الليل، ثم صار لا يغيب.

ورحمني الله تعالى بأن جمعني مع بعض العارفين من أوليائه، وذلك أني لما أصبحت من الليلة التي بعد يوم الفتح ذهبت لزيارة مولاي إدريس ـ نفعنا الله به ـ فلقيت في سماط

العدول الفقيه سيدي الحاج أحمد الجرندي، وهو إمام مولاي إدريس، فذكرت له ما رأيت وما وقع لي، فقال: انطلق معي إلى دارنا، فذهبت معه إلى الدار التي بقرب السقاية التي بجوار الغسالين الذين هم في الصفارين، فدخل ودخلت معه، وجلس على الدكان التي بداخلها وجلست معه، فقال: أعد عليّ ما رأيت، فأعدت عليه، فنظرت إليه وهو يبكي، فقال: لا إله إلا الله، هذه أربعمائة عام ما سمعنا من يذكر مثل هذا.

قال: وأعطاني دراهم كثيرة، ومرة قال: أعطاني خمسة مثاقيل وقال لي: خذها، واقض بها حاجتك، وإذا فنيت لا تقل لأحد يعطيك شيئًا، وارجع إليّ فأنا أعطيك كل ما يخصك، وأؤكد عليك أن تذهب إلى سيدي عبد الله التاودي فإنك ترى خيرًا.

قال: فخرجت عنه وما رأيته من ذلك اليوم جاءه مرض موته فمات - رحمه الله - وعملت بوصيته فذهبت نحو سيدي عبد الله التاودي، فلما بلغت باب الجيسة، فإذا برجل أسود خارج الباب، فجعل يصوب نظره إليّ فأقول في نفسي: ما يريد هذا؟ أو كان [واقفًا][1] عند الصخرة الكبيرة التي يجلس بقربها [المحدى][2]، فلما بلغت إليه أخذ بيدي وسلم عليّ وسلمت عليه، فقال لي: إني أريد منك أن ترجع معي إلى الجامع - يعني: جامع باب الجيسة- فنجلس معك ساعة نتكلم ونتحدث، فقلت له: حبًّا وكرامة، فرجعت معه وجلسنا في الجامع، فجعل يكلمني ويقول: إني مريض بكذا وكذا، ورأيت كذا وكذا، ووقع لي كذا وكذا، ويذكر جميع ما وقع لي، فطرح عني والله الحمل بكلامه، وعلمت أنه من أولياء الله تعالى العارفين.

وقال: إن اسمه عبد الله البرناوي وأنه من «برنو»، وأنه إنما جاء لفاس بقصدي، ففرحت [بذلك][3] وعرفت بركة كلام الفقيه سيدي الحاج أحمد الجرندي - رحمه الله تعالى- فإنه كان من أهل الخير والصلاح.

قال: فبقي معي سيدي عبد الله البرناوي يرشدني ويسددني ويقويني، ويمحو

---

(١) في (ب) قاعدًا.

(٢) في (ب) الجذمي.

(٣) الزيادة من (ب).

الخوف من قلبي فيما أشاهده بقية [شهر][١] رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة.

فلما كان اليوم الثالث من يوم العيد رأيت سيد الوجود ﷺ، فقال سيدي عبد الله البرناوي: يا سيدي عبد العزيز، قبل اليوم كنت أخاف عليك، واليوم حيث جمعك الله مع رحمته تعالى سيد الوجود ﷺ أمن قلبي واطمأن خاطري، فأستودعك الله ﷻ، فذهب إلى بلاده وتركني، وكانت إقامته معي بقصد أن يحفظني من دخول الظلام عليّ في الفتح الذي وقع لي إلى أن يقع لي الفتح في مشاهدة النبي ﷺ لأنه لا يخاف على المفتوح حينئذ وإنما يخاف عليه قبل ذلك.

فقال: ووقعت لي معه حكايات، فمن أغربها أنه تصور لي ذات يوم على صورة امرأة، وجعلت تراودني عن نفسها، وألحت عليّ غاية الإلحاح، وذلك أني كنت في جزائر [بني][٢] عامر، فلقيتني امرأة ملحفة ملثمة مطيبة، بيضاء نقية من أحسن النساء، فقالت: يا سيدي، إني أريد أن أخلو بك وأتحدث معك، فهربت مصاريني منها، وأسرعت في الفرار عنها حتى قلت: إني انجليت عنها في الناس، فبينما أنا في الرصيف فإذا هي واقفة معي تراودني، ففررت منها مسرعًا حتى بلغت الشراطين، وقلت: ما بقي لها طمع، فثقلت مشيتي، فإذا بها واقفة معي تراودني ففررت منها حتى بلغت الشماعين، فإذا بها واقفة معي، ففررت منها حتى بلغت شرقي مسجد القرويين، فقلت: نجوت منها، وإذا بها واقفة معي، ففررت منها حتى بلغت الصفارين، فقلت: نجوت منها، وإذا بها واقفة معي، ففررت منها حتى بلغت الشماعين مرة أخرى، فقلت: نجوت [منها][٣] فإذا بها واقفة معي، ففررت منها حتى بلغت مسجد القرويين، فدخلت إليه فقلت: الآن نجوت.

فلما وصلت الثريا الكبرى، فإذا بها واقفة معي، فغلبني الحال وكدت أصيح حتى يجتمع الناس عليّ وعليها، فإذا بها انقلبت ورجعت سيدي عبد الله البرناوي، وقال: فعلت هذا بك، وأردت أن أختبرك لما أعلم من كثرة ميل الشرفاء إلى النساء، فوجدتك كما أحب والحمد لله، وفرح بذلك غاية الفرح.

---

(١) الزيادة من (ب).

(٢) في (ب) ابن.

(٣) الزيادة من (ب).

* قلت: وسيأتي أثناء الكتاب بعض الفوائد من معارف سيدي عبد الله البرناوي ـ نفعنا الله به ـ قال: وكانت [وفاته][1] سنة ست وعشرين.

وسمعته يقول في المدة التي ذهب فيها سيدي عبد الله البرناوي إلى بلاده: كنت مع سيدي عبد الله اليوم وقال لي وقلت له، وفعلنا كذا وكذا ونحو هذا، وكنت في تلك المدة أخرج معه ﷺ وأذهب وأجيء بحيث لا نتفارق إلا في أقل الأوقات، فكنت إذا سمعت هذا منه أقول له: أليس أن سيدي عبد الله ذهب لبلاده؟ فقال لي ﷺ: ما بين الصالحين بعد وإن تباعدت أوطانهم، حتى إن صالحًا في المغرب يريد أن يتحدث مع آخر في السودان أو البصرة ونحو ذلك فتراه يكلمه وهو بمنزلة من يكلم رجلاً إلى جنبه، وإذا أراد ثالث أن يتحدث معهما تحدث، وهكذا الرابع حتى ترى جماعة من الصالحين متفرقين كل واحد منهم من قطر، وهم يتحدثون بمنزلة القوم المجتمعين في موضع واحد.

قال: ولما مات سيدي عبد الله البرناوي ورثت ما كان عنده من الأسرار، والحمد لله تعالى.

قال ﷺ: ومن جملة من لقيناه وكان من الأكابر وبلغ درجة القطبانية، فكان من جملة الأقطاب سيدي منصور بن أحمد، وكان اجتماعي معه قبل كسوف الشمس بشهر، وسبب اجتماعي معه أنه كان ﷺ [يخدم][2] الغزل، نساجًا من جملة النساجين، فذهبنا بأخي علال لأنظر من يعلمه صنعة النسيج، [فدخلت][3] إلى طراز، فجعلت أنظر مع من يخدم، فوجدت رجلاً فاتفقت معه، فلما فرغنا وأردت أن أخرج صاح بي رجل لا أعرفه من هو، فقال لي: إني أريد أن أتحدث معك فجئته، فقال: من أنت؟ فقلت: شريف، فقال: أخيار وأطهار وأبرار.

ثم قال: ما اسمك؟ فقلت: عبد العزيز، فقال: حبًّا وكرامة، ثم قال: ألك أب وأم؟ فقلت: ماتا، فقال: إني أريد أن أعلم هل لك من زوجة وأولاد؟ فقلت: نعم، فقال: وهل لك من دنيا؟ فقلت: لا، فقال: خذ هذه الموزونات، وإذا بها ثلاثون موزونة.

---

(١) في (ب) وفاة سيدي عبد الله البرناوي.
(٢) في (ب) يشتغل.
(٣) في (ب) فدخلنا.

قال ﷺ: فهذا سبب معرفتي به، ووقعت [لي][1] معه حكايات وأمور عجيبة، سيأتي بعضها أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

قال: فبقيت معه في محبة الله ورسوله إلى أن توفي سنة تسع وعشرين.

* **قلت:** وكسوف الشمس كان في التاسع والعشرين من المحرم، فاتح سنة ثمان عشرة ومائة وألف، فلهما في العشرة نحو من اثني عشر عامًا، وقلت لشيخنا ﷺ: أيهما أكبر، سيدي عبد الله البرناوي، أو سيدي منصور؟ فقال ﷺ: سيدي عبد الله البرناوي وإن كان كل منهما قطبًا.

قال ﷺ: ولما مات سيدي منصور ورثت ما عنده والحمد لله.

قال ﷺ: ومن جملة من لقيته سيدي محمد اللهواج، وبلاده بقرب تطاون، كما أن سيدي منصورًا من جبل [حصب][2] من الفحص.

قال: وكان سبب اجتماعي معه أنه لما مات أبونا ذهب عمنا [بنا][3] وبأخي العربي إلى طراز [يخدمون فيه الشاشية][4]، وكان بعض من يخدم هناك قريبًا من سيدي محمد اللهواج [لغربته][5]، فكان سيدي محمد إذا جاء إلى الطراز لقريبه يقصدني ويجلس معي ويتحدث حتى وقعت بيني وبينه المعرفة التامة، ووقعت معه لي حكايات عجيبة، وكرامات غريبة، سيأتي بعضها أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى، وكان اجتماعي معه قبل سيدي منصور اجتمعت معه في عام اثني عشر ومائة وألف، وكانت وفاته بعد سيدي منصور بأيام قليلة، ولما مات ورثته والحمد لله، فهؤلاء هم الذين اجتمع معهم الاجتماع المعروف:

أولهم: [شيخ الشيوخ][6]، وقطب العارفين، وإمام الأولياء والصالحين، سيدنا الخضر عليه السلام.

---

(١) في (ب) له.
(٢) في (ب) حبيب.
(٣) في (ب) بي.
(٤) في (ب) يصنعون فيه الطربوش.
(٥) الزيادة من (ب).
(٦) في (ب) سيد الأشياخ وشيخهم.

وثانيهم: [سيدنا][1] عمر بن محمد الهواري، خديم [روضة][2] سيدي علي بن حرزهم ـ نفعنا الله به ـ وكان ذلك بوصية سيدنا الخضر كما سبق.

وثالثهم: سيدي عبد الله البرناوي، وكان اجتماعي معه ثاني يوم الفتح.

ورابعهم: سيدي منصور بن أحمد.

وخامسهم: سيدي محمد اللهواج.

* **قلت**: وقد اجتمع اجتماعًا آخر مع جماعة من الأولياء وورثهم، وسيأتي ذكرهم أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن جملتهم: غوث زمانه وعارف وقته وأوانه، سيدي أحمد بن عبد الله المصري.

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: وفي اليوم الذي دخلت فيه إلى الديوان لم يتكلم سيدي أحمد بن عبد الله في ذلك اليوم، وكذا غيره من أهل الديوان إلا بالوصية لي والتوكيد عليّ في كتمان السر، وأمر سيدي أحمد بن عبد الله كل من عنده حكاية في ذلك أن يحكيها.

قال ﷺ: فحكوا [نحوًا][3] من مائتي حكاية، سمعت من شيخنا ﷺ ثمانية منها:

الحكاية الأولى

حكاية سيدي أحمد بن عبد الله الغوث ﷺ

قال ﷺ: كان لي مريد وكنت أحبه حبًّا شديدًا، فكنت ذات يوم أعظم له أمر سيد الوجود ﷺ، فقلت له: يا ولدي، لولا نور سيدنا محمد ﷺ ما ظهر سر من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجرت عين من العيون، ولا جرى نهر من الأنهار، وإن نوره ﷺ يا ولدي يفوح في شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ، ولولا نوره ﷺ ما أثمرت، يا ولدي، إن أقل الناس إيمانًا من يرى إيمانه [على ذاته مثل][4] الجبل وأعظم منه فأحرى غيره، وإن الذات تكلّ أحيانًا عن حمل الإيمان، فتريد أن ترميه، فيفوح

---

(١) في (ب) سيدي.
(٢) في (ب) مقام.
(٣) في (ب) أكثر.
(٤) في (ب) عليه أثقل من.

نور النبي ﷺ عليها، فيكون معينًا لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطيبه.

فبينما أذكر له تعظيمه ﷺ وأعدد له الخيرات المكتسبة منه حتى غبت فيه ﷺ، فلما رآني حصل لي ما حصل، قال: يا سيدي، [ما] قدمت عليك [إلا][1] جاه هذا النبي الكريم إلا ما أعطيتني [هذا][2] السر، فأردت أن أمتنع فرأيت الجاه العظيم، فساعفته وأعطيته السر، فلم يبق إلا مدة قليلة، وشهدوا عليه وقتلوه، وذلك أنه كان من عرب خوز، وكان قاطنًا بناحية المحلة من أعمال مصر، فلما سمع مني السر ذهب وجمع عليه جماعة، وجعل يذكر لهم السر، فلم تطقه عقولهم، [فعلموا][3] عليه البينة بما سمعوا منه وقتلوه.

الحكاية الثانية

قال بعضهم: كان لي مريد خدمني اثني عشر عامًا، وكنت أحبه حبًّا شديدًا حتى إني أردت أن أزوجه ابنتي.

قال: وكنت أغيب في كل جمعة ثلاثة أيام أجلس بساحل البحر، فصادف غيبتي في تلك المدة مجيء العيد، وكان لي أولاد [ستة][4] وبنات ثلاث وخادم، فجئت إلى الدار فوجدته كسا جميعهم، واشترى لهم كل ما يخصهم، ففرحت بذلك غاية الفرح، فلما لقيته رغبني وطلب مني أن أعطيه السر، وألح عليّ في ذلك، فأعطيته السر وأنا كاره، فلم يبق إلا أربعين يومًا، وعملوا عليه بالبينة بما سمعوا منه من الأسرار التي لا تطيقها العقول وصلبوه.

الحكاية الثالثة

قال بعضهم: كان لي مريد خدمني تسع سنين وكنت أحبه حبًّا شديدًا لخدمته وحسن معاشرته، ولأنه كان من أهل حومتنا ومن جيراننا، وكان لي امرأة يعتريها المرض كثيرًا، وكان للمريد امرأة جميلة فيأتي بها لدارنا، فتباشر الخدمة التي لا تطيقها امرأتي، فكان هو وامرأته يخدمان وكنت أحبه لذلك حبًّا شديدًا.

---

(١) الزيادة من (ب).
(٢) الزيادة من (ب).
(٣) في (ب) فعملوا.
(٤) في (ب) سبعة.

فبينما أنا ذات يوم واقف في موضع من المواضع إذا به أتى بصبية له صغيرة في يدها مصحف، فلم أشعر إلا بالصبية سقطت بين رجلي وفي يديها المصحف، فقلت بعد أن تأخرت وتقهقرت: ما تريد يا فلان؟ فهذا دخيل عظيم و[عوريط][1] كبير، فقال: يا سيدي، أريد أن تعطيني السر، فقلت له: يا فلان، إنك لا تطيقه، وإن السر أمر عظيم، وخطب جسيم لا يطيقه إلا من قواه الله عليه، وإن ثلثي البشر يقولان لحامله: بخ بخ، وفي بوحه هلاكه وحتفه، فقال: يا سيدي، أعطني السر، فإني أطيقه، قال: فنظرت إلى خدمته وخدمة امرأته، وإلى المعرفة التي كانت بيننا، وإلى الدخيل الذي أتى به فقلت له: نعم أنا أعطيك السر، فأعطيته السر.

قال شيخنا ﷺ: فأخذ السر بلا ذات وكل من أخذه بلا ذات فإنه يهلكه، فقلت: ما المراد بالذات؟ فقال: ذات الشيخ وأسرارها، وهي لا تنتقل إلى المريد إلا بعد وفاة الشيخ، قال: والولي يقدر على إعطاء السر، ولا يقدر على إعطاء الذات إلا الله تعالى، فأخذ السر وانطلق وتغيب عن الشيخ ثلاثة أيام، فلم يكملها حتى جعل يتكلم في شيخه، فجاء من أخبر الشيخ وقال: إن فلانًا مريدك يتكلم فيك، قال: فتعامى عنه الشيخ والبلاء ينزل عليه، فلم يزل أمره في العماية والظلام حتى جاءت قافلة فخرج معها وركب البحر، فأسر ثم تنصر ـ والعياذ بالله ـ وقد حصل له هذا الشقاء من استعجاله السر قبل أوانه، فعوقب بحرمان [الإسلام][2] نسأل الله السلامة.

الحكاية الرابعة

قال بعضهم: كنت أنا ورجل آخر أخوين في الله ﷻ، فاتفقنا على أن نسيح في الأرض ونطلب وليًّا من أولياء الله تعالى يأخذ بأيدينا ويجمعنا على الله ﷻ، فلم نزل نسيح حتى جمعنا الله بولي من أوليائه فوجدناه يتعاطى صنعة الثريد، فجلس واحد منا يوقد النار والآخر يزن الثريد للناس والشيخ يصنعه، فبقينا على ذلك مدة طويلة، ثم إن الشيخ قرب أجله فحصلت له مرة غيبة عن حسه، فجاءه أخي في الله فقال له: يا سيدي الشيخ، إني

---

(١) في (ب) عار.

(٢) في (ب) الإيمان.

أريد منك أن تعطيني السر، فقال [له][١] الشيخ ﷺ: إنك إلى الآن لم تطق، فقال له: لابد أن تعطيه لي يا سيدي، قال: فالتفت إلي الشيخ وقال: أتسمح؟ فقلت: يا سيدي، إن كان بخاطرك فإني أسمح، فقال: اسمح والله تعالى يعاوض لك من عنده، قال: فسمحت وأخذ أخي في الله السر.

وبقي الشيخ يومين وتوفي، وانصرف أخي إلى بلاده، وبقيت في حانوت الشيخ أخدم فيها، وكلما [زودته أصرفه على بيت][٢] الشيخ، وكانت له امرأة وثلاث بنات وذكر، فبقيت في الحانوت أخدمهم اثني عشر عامًا وأنا على المحبة ما نقص منها شيء، فلما كملت المدة تزوجن بنات الشيخ، وذهبت كل واحدة إلى دارها، وسافر ولد الشيخ إلى ناحية المغرب، وتزوج أخوه زوجته، فلم أجد على من [أراد][٣] الألفة، فضقت وعزمت على السفر إلى بلادي، فيسرت الزاد وبعت جميع ما عندي، ولم يبق [لي][٤] إلا زيارة قبر الشيخ ﷺ.

فلما ذهبت نحو قبره للزيارة، وكان في موضع مخوف بعيد من العمارة، فلما زرته وأردت أن أنصرف قال لي قلبي: ويحك، أتذهب ولا ترى قبر شيخك أبدًا، فأدركتني حنانة في الشيخ، ووحشة عظيمة، فرجعت وبقيت عنده ساعة، فأردت أن أنصرف، فأدركتني الوحشة ثانيًا كما أدركتني أولاً، فرجعت وبقيت عنده إلى الزوال، فأردت أن أنصرف فعاودني الأمر، فبقيت عنده إلى الليل وأنا أبكي من حب الشيخ ووحشته مع إرادتي فراقه.

ثم بت على قبره والحال يتزايد [علي][٥] إلى أن طلع الفجر، فجاءني سيدنا الخضر عليه السلام فلقنني الذكر، وفتح الله عليّ فذهبت إلى بلادي كيف أحب، فمررت على بلاد أخي وكانت في الطريق، فلما دخلتها وجدتهم يجمعون الحطب لرجل يريدون حرقه، فذهبت لأنظر الرجل من هو؟ فإذا هو أخي في الله ﷻ، فقلت للجماعة الذين يجمعون الحطب: ما

---

(١) الزيادة من (ب).
(٢) في (ب) تيسر صرفته على دار.
(٣) في (ب) أرد.
(٤) الزيادة من (ب).
(٥) الزيادة من (ب).

ذنب هذا الرجل؟ [فقال][1]: إنه يقول كذا وكذا لسر من أسرار الله تعالى أفشاه، وسمعوه منه ولم تطقه عقولهم، فاستفتوا فيه العلماء فأفتوا بحرقه، فتقدمت إلى أخي فعرفته ولم يعرفني هو؛ لشدة البلاء الذي نزل به، فقلت له: ولم أراد هؤلاء قتلك وحرقك؟ فقال: إنهم سمعوني أقول كذا وكذا وما قلت لهم فيه إلا الحق، فقلت له: وهل قلت غير هذا؟ فقال: ما قلت شيئًا غيره.

قال: فالتفت إلى الجماعة وقلت لهم: لا تحدثوا فيه شيئًا حتى أجيء من عند السلطان، فإني ذاهب إليه وأكلمه وأقول له: إن هذا الرجل لا يلزمه قتل، فعليكم بالصبر حتى أجيء من عند السلطان، ومن أحدث فيه شيئًا فإنه يخاف على نفسه، فإني أرجو إذا كلمت السلطان في أمره أن يرجع، فقالت الجماعة: إنا نصبر حتى ترجع، [فانطلقت][2] إلى السلطان فدخلت عليه، فوجدت العلماء عنده [وهم][3] يتحدثون في شأنه ويحرضونه على قتله، فقلت: أيها السلطان ـ نصرك الله نصرًا عزيزًا، وسددك ووفقك لما يحبه ويرضاه ـ إن ذات بني آدم عليها ثلاثمائة وستة وستون ملكًا، وهذا العدد على كل ذات، فمن قتل ذاتًا بغير حق فإن هذا العدد من الملائكة الذين في الذات المقتولة إذا خرجوا منها بعد القتل لا يكون لهم شغل إلا الدعاء باللعنة على من قتل الذات وأخرجهم منها بغير حق، ودعاء الملائكة مستجاب، [فيخاف][4] أيها الملك من هذا الدعاء.

وأيضًا فإن الذات عليها سبعة من الكرام الحفظة الكاتبين، فإذا قتلت الذات بغير حق فإنهم لا شغل لهم إلا نقل كل ما في صحيفة المقتول من سيئات، فينقلونه من صحيفته ويجعلونه في صحيفة القاتل، وكل ما فعل القاتل من حسنة فإنهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول، وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل، ثم يصير هذا ذكرًا لهم، فيذكرون ما فعل القاتل من السيئات، وذكر الملائكة كالمطر، فكل ذكر ينزل معه، فإن ذكروا أحدًا بسوء نزل عليه السوء، وإن ذكروه بخير نزل عليه الخير، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه، ولا يزالون يذكرون القاتل بشر والشر ينزل عليه، أمَا تخاف

---

(١) في (ب) فقالوا.

(٢) في (ب) فانصرفت.

(٣) الزيادة من (ب).

(٤) في (ب) فتخاف.

من هذا أيها الملك؟ فقال الملك: إن العلماء هم الذين أفتوا بقتله، فقلت له: [فإنهم][1] عجلوا حيث أفتوا بقتله، وكان من حقهم أن ينظروا في لفظه وقصده، فإذا اقتضى لفظه قتله فيسأل عن قصده، فإن كان قصده صحيحًا فلا قتل عليه، فابعثوا للرجل حتى يحضر واسألوه عن قصده.

قال: فقال العلماء ﷺ: هذا حق وصواب، يجب علينا أن نعمل به، فبعثوا إلى الرجل فسألوه عن قصده، فوجدوه صحيحًا لا يجب عليه به قتل، فخلوا سبيله.

* **قلت لشيخنا** ﷺ: فما فعل بعد تخلية سبيله؟ قال: سلبه أخوه الذي فكه وصيره من جملة العوام، وأخذ جميع السر الذي كان الشيخ أعطاه له، فقلت: فما حال صاحب الحكاية الأولى والثانية بعد قتلهما؟ فقال ﷺ: ماتا على الولاية، وأمّا صاحب الحكاية الثالثة فإنه مات [في][2] كفر، نسأل الله السلامة.

الحكاية الخامسة

قال بعضهم: كان لي مريد يخدمني اثنتي عشرة سنة، وكان مع المريد سخاء وكرم، فأفسد عليّ وعلى الفقراء إخوانه ما ينيف على قنطار، و كان لي أخ متصل بخدمة السلطان.

قال: فغضب السلطان ذات يوم على أخي، ورمى عليه مالاً كثيرًا لا يطيقه، وكنت معظمًا عند الناس وفي قلوب العامة، فلم يستطع [المخزن][3] أن يمسني بمكروه.

قال: فاغتنمها المريد وقال: يا سيدي الشيخ، لابد أن تعطيني السر أو تعطيني جميع ما أفسدت عليك وعلى الفقراء من المال الكثير، أو [ندعوك للمخزن][4]، فاختر لنفسك واحدة من هذه الخلال الثلاث.

قال: فقلت: يا ولدي، اتق الله وسيعطيك ﷻ السر كيف تحب وفوق ما تظن، وإن شككت في كلامي هذا فإني أعطيك عهد الله وميثاقه عليه، فلم يزده كلامي إلا نفورًا وتحريضًا على إذايتي، فقال: والله لا أفارقك إلا إذا أعطيتني جميع ما أفسدت عليك من

(١) الزيادة من (ب).
(٢) في (ب) على.
(٣) في (ب) السلطان.
(٤) في (ب) نطلبك للسلطان.

المال أو [ندعوك للمخزن][1].

قال: ولو وجد [المخزن][2] إليّ سبيلاً ما أفلتني، فأكثر عليّ من كلامه السابق، وجعل يردده عليّ، فأزلت [ما][3] على رأسي ودعوت له بالسر، فأعطاه الله السر، فلم يبق إلا أيامًا قليلة حتى رأى شيئًا حجب الله عقول عباده عنه؛ لأنها لا تطيقه، فجعل يذكره للناس، فلما سمعوا ذلك منه جعلوا عليه البينة وقتلوه من ساعته، ولو أنه صبر حتى يأخذ سر الذات الذي يدوم به سر الولاية لوفقه الله تعالى ولم يذكر شيئًا من أسرار الولاية، لكن لما استعجل عاقبه الله تعالى، فقلت لشيخنا ﷺ: فعلى أيّ شيء مات هذا؟ فقال: مات على الولاية، فحمدت الله تعالى له، والأسرار التي مات عليها هؤلاء سمعناها من شيخنا ﷺ ولم نكتبها؛ لكونها من الأسرار التي لا تذكر، والله تعالى يوفقنا لما يحبه ويرضاه ببركة شيخنا [وبنسبه الطاهر][4] آمين.

ولنقتصر على هذا القدر من الحكايات؛ لئلا يقع الملل، والله الموفق.

---

(١) في (ب) نطلبك عند السلطان.

(٢) في (ب) السلطان.

(٣) الزيادة من (ب).

(٤) في (ب) وبنفسه الطاهرة.